تقدير موقف أولي حول سوريا

10 ديسمبر 2024

د. وائل شديد

د. وائل شديد

رئيس مركز القادة والدبلوماسية

جميع الحقوق محفوظة لمركز القيادة والدبلوماسية 2024

" تمكين القادة، تغيير للعالم"

مركز القيادة والدبلوماسية مركز دولي مسجل في كندا ويقدم مجموعة من الدبلومات التنفيذية العملية للمساهمة في نشر المعرفة والخبرة المتعلقة بالقادة ورجالات الدولة والدبلوماسيين للدول والمؤسسات والهيئات الرسمية ومؤسسات المجتمع المدني، وهدفنا هو المساهمة في الحضارة الإنسانية من خلال تأهيل قادة المستقبل لإدارة بلدانهم ومؤسساتهم كمحترفين من منظور مهني حضاري.

ويلتزم مركز الدبلوماسية والقيادة بتمكين القادة المحتملين بالمعرفة والمهارات اللازمة ليصبحوا قادة ودبلوماسيين عالميين فعالين. علاوة على ذلك، دعم القيادات الشبابية لاكتساب القدرة التنفيذية على قيادة المؤسسات والوزارات الرسمية والأهلية وتوجيهها في مختلف التخصصات والمجالات. وهذا يتطلب تزويدهم بمعرفة متخصصة مصحوبة بمهارات عملية وخبرات ميدانية. ونعمل على تحقيق نقلة نوعية في تطوير الدبلوماسيين والقادة الوطنيين ليكونوا قادرين على تنفيذ المهام والمسؤوليات الموكلة إليهم .

ومهمتنا ملتزمة بالتميز والنزاهة واحترام التنوع، ونعتقد أنه من خلال الاستثمار في تنمية القادة، يمكننا تشكيل عالم أكثر سلامًا وازدهارًا.

المحتويات

مقدمة 4
أولا: اللاعبين الخارجين قبل عملية "ردع العدوان" 4
ثانيا: المفاعيل الداخلية 5
مسببات التغيير المفاجئ 6
على المستوى الخارجي 6
على المستوى الداخلي 7
التوقعات المستقبلية 8
أولا: اللاعبين الخارجيين 8
ثانيا: توقعات مستقبلية للوضع السوري 10
الخلاصة 11

مقدمة

ما شهدناه في الأيام الماضية كان وما زال حدثا تاريخيا بكل المقاييس، حيث سقط نظام عائلة الأسد في سوريا بعد ما يقارب من 54 عاما تميز فيها بالقهر والظلم والتعذيب والبطش بالشعب السوري وبمعارضيه. وهو النظام الوحيد في العالم العربي بل في الإقليم الذي هجّر نصف شعبه (أكثر من 12 مليون سوري) في الخارج ومنعهم من العودة، في أكبر عملية تهجير شهدها العالم في العصر الحديث.

وتتسارع الأحداث في سوريا بشكل يومي، مما يتطلب وقفة لتقدير الموقف ومحاولة استشراف المستقبل القريب وليس البعيد ولا حتى المتوسط نظرا لتعقيد المشهد وكثرة الفواعل فيه الداخلية والخارجية، وللضبابية في مشهد سير الأحداث. وسيتعرض تقدير الموقف للاعبين الخارجين وللمفاعيل الداخلية ومسببات التغير المفاجئ وللعلاقة مع القضية الفلسطينية، والتوقعات المستقبلية قصيرة المدى.

أولا: اللاعبين الخارجين قبل عملية "ردع العدوان"

تميز الوضع في سوريا قبل قيام الثورة تحت شعار " ردع العدوان" بتدخل عدد كبير من الدول الإقليمية والدولية مع التواجد العسكري للعديد منها على الأراضي السورية. حيث تتواجد إيران داخل الأراضي السورية وفي عمقها بقوات من الحرس الثوري وميليشيات طائفية جاءت بها من اصقاع الأرض من العراق وباكستان وأفغانستان، وتواجد حزب الله اللبناني بقوة وشارك في معارك عنيفة ضد ثورة الشعب السوري تحت مظلة حماية محور المقاومة.

وتتواجد تركيا في الشمال السوري بنقاط مراقبة وبتواجد عسكري مكثف على الحدود لحماية الأمن القومي التركي من الميليشيات الكردية التي تتخذ موطئا لها في سوريا، وفي نفس الوقت تدعم مباشرة مجموعات مسلحة من الثورة السورية.

أما في الشرق السوري، فتتواجد الولايات المتحدة الأمريكية بقواعد عسكرية وتدعم ميليشيات قسد الكردية وتغطيها عسكريا في منطقة شرق الفرات. ويساعد الولايات المتحدة الأمريكية مجموعة من حلفائها كالبريطانيين والفرنسيين وغيرهم.

وتأتي روسيا التي دخلت بقوات عسكرية وبحرية في شمال غرب سوريا لتقف مساندة للنظام السوري وتقصف المدن والقرى والبلدات السورية بحجة مقاومة الإرهاب، وتستعرض قوتها العسكرية ضد الشعب السوري، وتلمح بها للغرب في صراعاها في أوكرانيا.

ويتواجد في الجنوب مجموعات مسلحة باسم الثورة السورية مدعومة من الولايات المتحدة كما في منطقة التنف وبدعم من بعض الدول العربية.

وبالتالي تجد أن سوريا من عمقها إلى مناطقها الشمالية والغربية والجنوبية والشرقية تحت سيطرة قوى خارجية، وكل قوة من هذه القوى الخارجية تدعم مجموعة عسكرية أو ميليشيات محلية كذريعة لها للتواجد

في الأراضي السورية. وكل قوة تتبجح بموافقة النظام السوري وطلبه لها للتواجد كما في حالة إيران وروسيا، أو بحجة مكافحة الإرهاب كما في حالة باقي الدول.

وظلت سوريا لسنوات طويلة تحت هذا التجاذب الدولي والصراعات العسكرية بينها، وظل الشعب السوري يدفع الأثمان والكلف لهذه التجاذبات الخارجية.

ثانيا: المفاعيل الداخلية

لقد كان للتدخل الخارجي بوابات من المفاعيل الداخلية حين بدأت ثورة الشعب السوري ضد النظام، ولم يكن الشعب السوري بالأصل يعيش في ظل مناخ سياسي وديمقراطي، ولم يعهد تواجد أحزاب تتنافس في جو من الحرية والديمقراطية، بل هو النظام الوحيد. ولمّا انطلقت الثورة الشعبية كانت بدون رعاية من أحزاب موجودة، بل انطلقت في ظل فراغ سياسي داخلي. مما دفع لتشكل قوى شعبية متنوعة خاصة بعد انشقاق عدد معتبر من الجيش السوري وانضمامه للثورة الشعبية.

ونتيجة لهذا الفراغ ولضعف الإمكانات المالية للاستمرار في الثورة الشعبية، وجدت مجموعة من الدول العربية منفذا مناسبا لتحقيق أهدافا سياسية لكل منها. وحين تضاربت الأهداف السياسية لهذه الدول تفرق الرفقاء السورين وتوزعوا على مصادر التمويل مع الاستجابة لمطالبهم بما يتعلق بالوضع السوري، مما ولّد انشقاقات داخل المعارضة السورية، إضافة بالطبع لأسباب أخرى داخلية.

لم يكن لهذه الانقسامات انعكاسات على الوضع السوري فحسب، بل امتد الانقسام إلى العالم العربي وشعوبه حيث وجد البعض أن النظام السوري الداعم للمقاومة في تيار "محور المقاومة" الذي تتزعمه إيران، وجد في الثورة السورية طعنا في محور المقاومة وسوريا التي تدعم المقاومة الفلسطينية بالسماح لفصائل المقاومة الفلسطينية بالتواجد على الأراضي السورية وتقاوم إسرائيل التي تحتل الجولان السوري. وفي المقابل، وجد البعض الآخر أن الثورة السورية هي وسيلة للتخلص من التمدد الإيراني الطائفي الذي يخترق المنطقة لمصالحه الاستراتيجية تحت ستار محور المقاومة، وينشر اتباعه في انحاء سوريا، ويقتل السوريين ويهجرهم من ديارهم. ومن هنا دخلت الشعوب العربية ومكوناتها السياسية بين معارض ومؤيد للثورة السورية.

وفي خضم هذا التنازع الداخلي والاختلاف العربي، نفذّت روسيا تدخلا عسكريا مباشرا عام 2015 بحجة طلب رسمي من الدولة، لتتوالى التدخلات العسكرية من إيران والولايات المتحدة وحلفائها وتركيا وغيرها وكل بحجة مختلفة. مما فاقم التعقيد في المشهد السوري، وهنا ولأول مرة في التاريخ العربي الحديث أصبح التنازع الدولي في سوريا ليس على الدولة السورية ككل، بل على مربعات جغرافية داخلها.

ففي الشمال تتحالف تركيا مع روسيا ضد ميليشيات كردية، وفي مربع آخر في الشمال السوري ذاته تتنازع تركيا وروسيا على دعم القوى المحلية. وفي مربع شرقي تتحالف أمريكا مع الأكراد ضد الأتراك، وفي مربع آخر تتحالف أمريكا مع تركيا ضد مجموعات سورية أخرى. وفي مربعات تتعاون روسيا وامريكا وتختلف

معها في مربعات جغرافية أخرى، وتتحالف إيران مع روسيا في مربعات وتتنافس معها في مربعات أخرى، وكل ذلك داخل جغرافية الدولة السورية.

هذا التعقيد والاضطراب في المشهد السوري المعقد، أوجد مساحة للنظام السوري للبقاء. فروسيا وإيران تحافظان عليه لتبرير وجودهما العسكري في سوريا، والنظام يستغل التدخل الأمريكي والغربي ليعزز بقائه تحت عنوان محور المقاومة للشيطان الأكبر واعوانه، ويستغل التواجد الإيراني والروسي لحمايته من الثورة السورية ومجموعاتها المسلحة. كما يستغل النظام التدخل التركي ليتحالف مع المليشيات الكردية، ويغازل أمريكا وإسرائيل لأنه يساهم في تفاقم مشاكل تركيا الداخلية نتيجة تواجد ثلاثة ملايين سوري لاجئ في أراضيها وما ينتج عنه من مشاكل داخلية. وبالتالي ظل النظام يلعب على هذه التناقضات الخارجية والداخلية ليستمر في بقائه على حساب قمع وتدمير وتهجير الشعب السوري الذي ظل يدفع الثمن غاليا.

مسببات التغيير المفاجئ

في ظل هذا الخضم والتعقيد في المشهد السوري، كانت هناك تفاعلات داخلية وإقليمية ودولية تتطور على مدى هذه السنين الطويلة، فشكّلت نهرا من التأثيرات التي تجمعت معا لتنفجر في وجه النظام السوري وتسقطه ومنها:

على المستوى الخارجي

1. التفاعلات التركية الداخلية وخصوصا وضع الرئيس أردوغان وحزبه في الانتخابات الأخيرة وضعف الشعبية، وتفاعلات العنصرية ضد اللاجئين السوريين، والغضب الشعبي ضد وجود أكثر من ثلاثة ملايين لاجئ سوري في تركيا، والتفاعلات السلبية لليرة التركية. شكلت هذه التفاعلات إجهادا لتركيا لضرورة الضغط على النظام السوري لقبول حل لإنهاء مشكلة اللاجئين السوريين، ولكن النظام ظل يرفض ذلك، مما شجع تركيا لقبول بأي فكرة جذرية توصل لإنهاء مشكلة اللاجئين عندها.
2. التفاعلات الناتجة عن المواجهة بين إسرائيل والنظام الإيراني على الأراضي السورية التي وصلت لأشدها. حيث قامت إسرائيل بقصف عددا كبيرا من المنشآت التابعة لإيران وميلشياتها، وقتل العديد من القيادات في الحرس الثوري، مما أوجد خللا معتبرا في القدرات الإيرانية في سوريا. وكان لمقتل قاسم سليماني قائد الحرس الثوري من قبل الأمريكان سابقا أيضا خللا كبيرا في هيكلية الحرس الثوري. ولكن الأثر الذي قصم ظهر الإيراني هو الضربة العسكرية القوية التي وجهتها إسرائيل لحزب الله في لبنان على أثر دعمه للمقاومة الفلسطينية في غزة، والتوصل لوقف إطلاق النار ضمن شروط حدّت من قدرة الحزب على الاستمرار بقوته السابقة، إضافة لضرب خط الامدادات العسكرية من سوريا. كما أن الضربة العسكرية الإسرائيلية لإيران في 26 أكتوبر 2024 أوقعت أثرا تدميريا على ما يبدو في القدرات العسكرية الإيرانية حسب التوقعات. هذه التفاعلات المستمرة تراكمت حتى اضعفت التواجد الإيراني في سوريا بشكل كبير.

3. بالرغم من الضربات الإسرائيلية للتواجد الإيراني في سوريا، إلا أنها لم تضرب النظام السوري بشكل مباشر، وكان للحرب بين الحزب وإسرائيل أثرا كبيرا في عزل بشار الأسد عن محور المقاومة، حيث نأى بنفسه عن الحزب، وبالتالي ابعد نفسه عن محور المقاومة وأزاح هذا الغطاء الذي كان يتدثر به في السابق مما أضعف موقفه القومي السابق وتركه بدون غطاء يتستر به.
4. تفاعلات استمرار الحرب في أوكرانيا وعدم قدرة الروس على حسم الحرب لصالحه، والهجوم الاوكراني في العمق الروسي بإقليم كورسك في السادس من أغسطس 2024 وضرب العمق الروسي بصواريخ ستورم شادو في نوفمبر 20244، كل ذلك وضع روسيا في موضع حرج لا يسمح لها بالتعامل بقوة في الشأن السوري كما كانت في السابق.

على المستوى الداخلي

5. أما على المستوى الداخلي فكانت التفاعلات تتحرك ببطء ولكن بثبات تراكمي زمني مستمر. وعلى رأس ذلك كان تطوير القدرات العسكرية للمجموعات المسلحة الثورية، وكثرة الأعداد المنتسبين لها بغض النظر عن الدافع، مما أوجد لهم قوة عسكرية إضافة للسيطرة المدنية على مناطق واسعة في ادلب، مما اكسبهم خبرة وثقة بإمكانية التمدد.
6. ومنها عدم قدرة أي من المجموعات المسلحة لحسم الهيمنة الثورية لصالحها مما كان يدفع بتفاعلات تدريجية ولو بطيئة نحو التحالف فيما بينها باعتباره الحل الأمثل لتحقيق نصر على جيش النظام. مما أوجد في النهاية تحالفا تحت مسمى "ردع العدوان" الذي سيقود المعركة.
7. تفاعلات سنة التدافع والصراعات بين القوى الدولية في المربعات الجغرافية داخل الدولة السورية، أفسح المجال للمجموعات المسلحة لتحقيق التطوير العسكري لمقدراتها، ولتنامي وتدحرج فكرة التحالف بينها وصولا لتحالف "ردع العدوان". كما أن هذا التدافع فسح المجال أمامهم للبقاء والاستمرار، واعطاهم الفرصة لتنفيذ تطلعاتهم.
8. تفاعلات تدهور الوضع الاقتصادي للدولة السورية والضيق الاقتصادي للشعب السوري في مناطق النظام خصوصا بعد عقوبات "قيصر"، وعدم القدرة على دفع الرواتب أو زيادتها لجيش النظام، مما أوجد حالة من ضعف الولاء للنظام وبالتالي التهيئة النفسية للانهيار عند أي ضغط حقيقي
9. تفاعلات النقمة الشعبية السورية في مناطق اللجوء خارج سوريا، ولدى المغتربين، واستمرار النظام في القمع والاعتقال والتعذيب والبطش والتنكيل بالمواطنين، كل ذلك كان تهيئة للقبول الشعبي لأي تحرك ثوري جاد.
10. أما الأهم في ذلك فهو تفاعلات وتطورات رفض النظام لأي حل إقليمي أو دولي لإنهاء المشكلة السورية. وعناده المنقطع النظير واصراره على إبقاء أكثر من 12 مليون مواطن سوري خارج البلاد وعدم السماح لهم بالعودة. ورفضه للحلول المدعومة أوربيا ومن تركيا ومن الوسطاء لإنهاء
11.

الملف وحل المشكلة السورية. هذه التفاعلات تطورت تدريجيا إلا أن وصلت لحد عدم قدرة حلفائه تحمل هذا العناد والرفض، مما هيأ الأرضية للتخلي عنه من قبل إيران وروسيا عندما اشتدت الأمور، حيث أدرك حلفاؤه بأن لا فائدة من الاستمرار في دعمه خصوصا عندما أصبح حلفاؤه في حرج كبير بسبب ظروفهم الصعبة كما ذُكر سابقا.

لكل تلك التفاعلات السابقة وغيرها، تهيأت الأرضية الشعبية والإقليمية والدولية لأي عملية ثورية جادة تُنهي النظام. وكان ما حدث يوم السابع والثامن من ديسمبر 2024 وبعد 13 عاما من الثورة السورية حيث سقط النظام الأسدي فقط في 11 يوما. وحسب نظرية التعقيد، فإنه في النهاية سيتفق جميع الأطراف على نمط معين يكون غير مألوف ولكنه يجذب الجميع اليه حتى تستقر الأمور.

ويبدوا أن هذا ما حدث في سوريا حيث انجذبت الأطراف الخارجية والمكونات الداخلية وتهيأت الظروف الجيوسياسية نحو نمط يتم التخلص فيه من نظام الأسد، واستبداله بتركيبة جديدة على رأسها هيئة تحرير لشام حتى ولو كانت مصنفة جماعة إرهابية. وذلك من أجل إيجاد نمط جديد يدفع باتجاه ولو استقرار نسبي في سوريا.

التوقعات المستقبلية

أولا: اللاعبين الخارجيين

من شبه المتفق عليه في التحليل الاستراتيجي، أنه لا يحدث تغير حقيق في الوضع الجيوسياسي في الدول العربية، إلا ويكون للاعبين الدوليين يدا فيه بطريقة أو بأخرى. وبغض النظر عن الأقوال عن ترتيب أمريكي أو تركي أو كلاهما لهذا الأمر، إلا أن الجميع تفاجأ بما حصل، وأنه تجاوز حدود المُخطط له أو المُتفق عليه. وأن هذا الانهيار السريع وتعاون المواطنين في تسهيل المهمة وهروب منتسبي جيش النظام وعدم المقاومة (إلا في أماكن محددة)، كل ذلك كان مفاجئا للجميع ولأصحاب الشأن أنفسهم في الوضع السوري.

لقد وضع هذا الانهيار السريع الجميع سواء تحالف "ردع العدوان" أو المجموعات الأخرى وحتى أصحاب الشأن الخارجيين، وضعهم جميعا في مفاجأة. وعلى ما يبدو أن تحالف ردع العدوان ومن حالفه أو سكت عنه كان في أقصى توقعاتهم هو تحرير محافظة حلب بأريافها. هذه المفاجأة تضع الجميع الآن في وضع إعادة ترتيب الأوراق والمصالح.

فستدعم فتركيا هذا التغيير للتخلص من مشكلة ملايين اللاجئين لديها، ولاستبدال النظام السابق بنظام غير معادي على أقل تقدير. وستعمل تركيا على مد العون والتعاون والدعم السياسي للنظام الجديد. كما ستحرص على التعاون الاقتصادي، إذا انها أقرب الدول ذات الإمكانات المتقدمة لمشاركة قطاعها الخاص في إعادة الاعمار، ورفع التبادل التجاري لأقصى حد ممكن.

ومن المتوقع أن يرسم الأمريكي سيناريوهات مستقبلية ويدرسها بحذر خصوصا تحت حكم الرئيس ترمب الذي له نظرة جيواستراتيجية مختلفة عن الإدارة الأمريكية السابقة، حيث يدفع باتجاه انهاء التخفيف من التورط في النزاعات الخارجية للتفرغ لإعادة أمريكا عظيمة كما كانت، من وجهة نظره.

ولكن من المتوقع أن تتفاهم أمريكا مع قيادة "درع المقاومة" على الخطوط العريضة الأساسية التي تضمن حقوق الأقليات، وتبَني النهج الديمقراطي، وضمان الأمان لإسرائيل، وتأسيس لتعاون اقتصادي مميز مع الشركات الأمريكية في قطاع النفط والغاز والانشاءات، والقضاء على المجموعات الارهابية والمتشددة، والتخلص من الأسلحة الكيميائية وغير ذلك من تحقيق المصالح الأمريكية. وتمهيدا لذلك سترفع أمريكا هيئة الشام من قائمة الإرهاب وتشكل حماية للنظام الجديد بشكل ما. وبالتأكيد فإن رفع هيئة تحرير الشام من قائمة الإرهاب سيكون له ثمنا يضمن المصالح الأمريكية في سوريا.

أما بالنسبة لإسرائيل فهي اللاعب الخارجي الوحيد الذي بدأ بخطوات عملية عسكرية على الأرض منذ اللحظات الأولى حيث قامت بضرب وتدمير المئات من المراكز العسكرية الاستراتيجية ومعامل التصنيع العسكرية، والقواعد والقدرات الجوية والبحرية حتى لا تقع في ايدي القادمين الجدد، مما يحرمهم من أي أسلحة استراتيجية أو ثقيلة، ويكتفى بالأسلحة الخفيفة والمتوسطة التي يملكوها التي لا تشكل أي خطر في أي مواجهة محتملة مع اسرائيل.

ولكن الأخطر من ذلك هو الغاء اتفاقية عام 1974 واحتلال المنطقة الحاجزة والاندفاع بعمق 3 كيلومترات داخل الأراضي السورية، حيث أصبحت على بعد لا يزيد عن 40 كيلومتر من العاصمة دمشق. مما يضع الكيان الجديد في حرج حقيقي شعبي وقومي ويهدد الأمن القومي السوري.

وتؤكد هذه الإجراءات على ان الإسرائيلي عادة ما يُصاب بالعمى الاستراتيجي في مثل هذه المواقف، ويعود ذلك لعدة أسباب. منها أن الهاجس الأمني وهاجس البقاء يسيطر دائما على العقلية الإسرائيلية فتندفع باتجاهات تظنها فاعلة على المستوى القصير وحتى المتوسط، ولكن مفاعيلها خطيرة على أمنها على المدى البعيد. إذ تعيد تصنيف نفسها كدولة احتلال مما يستوجب المقاومة ولو بعد حين، وبالتالي إبقاء إسرائيل في حالة حرب مستمرة. ومن الأسباب كذلك الغطرسة والتكبر والشعور بالاستعلاء على الآخرين نتيجة الغرور بالإمكانات العسكرية المتوفرة لديها، مما يدفعها للتصرف من هذه الزاوية وبالتالي الاندفاع نحو الاعتداء وتجاوز الحدود المتفق عليها دوليا، ومن ثم تهيئة الأرضية للوقوع في مأزق استراتيجي مستقبلي.

ونقف عند الموقف الروسي والإيراني الحليفين الرئيسيين للنظام الفارط. حيث من المتوقع أن يبقى الموقف الروسي مترقِبا ويحاول أن يصل لاتفاقية مع العهد الجديد لإبقاء جزءا من اسطوله البحري في الموانئ السورية، ومن المتوقع أن يخُفض التوتر مع القادمين الجدد، وسيحاول عقد اتفاقي جديدة معهم بشروط تضمن بقاءه على سواحل البحر الأبيض المتوسط.

وبالنسبة لإيران فهي تتمتع ببرغماتية عالية جدا، فسرعان ما تخلت عن النظام، وبدأت منذ اللحظات الأولى بتغيير لهجة الخطاب من إرهابيين إلى المعارضة السورية وذلك لتضمن لها مقعدا في الفضاء السياسي السوري. ولكن مما لا شك فيه فهي أكبر الخاسرين في هذه المرحلة حيث اولغت بالبطش ضد الشعب السوري ونشرت ميليشياتها لتعيث فسادا في سوريا وحاولت ترسيخ الطائفية، وبالتالي فمن المستبعد قبولها في التركيبة الجيوسياسية السورية. مما يعني خسارة إيرانية كبيرة في مجال اختراقها للعالم العربي وبالتالي احتمالية انحسار نفوذها في المنطقة العربية تدريجيا.

ثانيا: توقعات مستقبلية للوضع السوري

لعله من المفيد مقارنة ما حدث من تغيير في دول الربيع العربي التي اسقطت الثورات الشعبية فيها زعماءها وانظمتها مثل مصر وليبيا واليمن. لقد كان واضحا كيف تدخلت القوى الخارجية الدولية وخاصة الإقليمية العربية واشعلت الثورة المضادة من خلال مجموعة من الممارسات مستغلة سرعة التعاطف الشعبي الكبيرة لتحقيق المكاسب ورفع المظالم التي مكثت على صدورهم عقودا من الزمن. وهنا استغلت الثورة المضادة هذا التوجه لتثير فشل القادمين الجدد في عدم السرعة في إزالة المظالم المزمنة لعقود، وبدأت بتحريض الشعوب من هذه الزاوية.

ويضاف لذلك، توفر المال السياسي الخارجي بكثرة لتحريك مكونات وعناصر الدولة العميقة ضد القادمين الجدد. وكذلك استغلال الظروف الأولية (التي يكون فيها الكيان الجديد غير متمكن) من أجل تشكيل أو دعم مكونات تدّعي الثورية للتقاسم السلطة مع القادمين الجدد والدخول في صراعات لا تنتهي كما في ليبيا واليمن.

أو أخذ الخط السريع بتدبير انقلاب على الشرعية الجديد بانقلاب عسكري مباشر. إلا أن ما يميز الثورة السورية انها تملك قوة مسلحة تحميها إلى حد ما، على عكس باقي ثورات الربيع العربي.

ويُتوقع من أكراد سوريا أن ينظروا من منظار الوطن السوري لا من منظار الفئوية الكردية، والانخراط في عملية توحيد سوريا وليس تقسيمها خصوصا أنهم يسيطرون على منطقة شرق الفرات ذات الأغلبية العربية، وهي منطقة غنية بالنفط، مما يتطلب منهم التفاعل الوطني الحقيقي مع ضمان حقوقهم.

ودائما ما تكون الشرعية الثورية الجديدة ذات بعد أخلاقي وقيمي كبير. فهي جاءت لتنفض الظلم عن شعبها وتعيد لهم الحرية المفقودة، وترفع عنهم البطش والقهر والعذاب، ولذلك تتصف بمسئولية أخلاقية عالية جدا خصوصا الإسلاميين منهم. وبقدر أهمية ذلك الأمر وهو الأساس، إلا أن مثيري الثورة المضادة يستغلون ذلك أبشع استغلال للانقضاض وإعادة الظلم والقهر ثانية.

ومن المتوقع أن تدخل الثورة السورية بتحديات كبيرة جدا للسيطرة على الوضع الداخلي وللحماية من مثيري الثورة المضادة، ومن مكونات الدولة العميقة، والتدخلات الإقليمية والدولية لإفشال الثورة. ومما يعقد الأمور في سوريا هو التدخل الإسرائيلي المباشر بالقصف واحتلال أراض سورية جديدة، مما يضع الثورة السورية في حرج كبير في كيفية التعامل مع هذا التدخل وهي في مرحلة الولادة ولم تتشكل الدولة بعد.

ويعتبر الاقتصاد وتأمين الرواتب وضبط تدهور العملة المحلية من التحديات الكبيرة التي تتطلب صبرا من الشعب السوري، وحسن تصرف وبراعة من قيادة الثورة الشعبية. ويضاف لذلك ضرورة سرعة تشكيل الحكومة الانتقالية لضبط الشئون الداخلية والتجهيز للمرحلة القادم وحمايتها من المفاعيل السلبية الداخلية والخارجية.

كما أن التعامل مع المكونات والأقليات يحتاج لحكمة وهذا ما أبدته قيادة "ردع العدوان" حتى الآن، إضافة للعدالة الانتقالية وكيفية تطبيقها مع محاسبة المجرمين الضالعين في البطش والتعذيب والتنكيل بالناس.

كل ذلك وغيره تحديات حقيقية في بلد مثل سوريا ذات التموضع الجيوستراتيجي المهم في المنطقة، فهي من دول المواجهة الرئيسية، ومن الدول العربية التي كانت جزءا مهما في المركز الجيوسياسي العربي. وسينعكس تطور الأحداث فيها بشكل مباشر وغير مباشر على دول عربية أخرى.

ودائما، كان التقدير أن أي تغير جيوسياسي في دول الجوار لفلسطين سيكون له أثرا كبيرا في اتجاه الصراع العربي-الإسرائيلي. وبالتالي، فمن المتوقع أن يكون للتغيير في سوريا ارتدادات ولو على المدى المتوسط على القضية الفلسطينية، وسينعكس بوضوح على ردّات الفعل الإسرائيلية وموقفها من الثورة السورية، حيث تعمل من الآن على تدمير المقدرات العسكرية السورية الصاروخية والبحرية والجوية والعلمية والتصنيع العسكري لتترك الثورة الجديدة بدون أذرع قوة يمكن أن تتنشط ضد إسرائيل، وبالتالي تضمن إسرائيل ضعف المولود الجديد على المدى القريب في أقل تقدير. وليس من المتوقع أن يتبنى الكيان الجديد مبدأ الحرب مع إسرائيل لأسباب موضوعية عديدة منها أنه في نشأته الأولى ويسعى لاستقرار الدولة، كما أن إسرائيل قد دمرت القدرات العسكرية الرئيسية والاستراتيجية لسوريا، إضافة إلى احتمالية التدخل الأمريكي المباشر أذا ما ذهب الكيان الجديد في هذا الاتجاه.

وبناء عليه، لا يُتوقع ان يكون هناك تغير دراماتيكي تجاه القضية الفلسطينية على المدى القريب أو حتى المتوسط. إلا في حالة واحدة، وهي أن تتعمق إسرائيل في الأراضي السورية بحيث تصبح المواجهة هي الخيار الوحيد.

الخلاصة

عموما، فإن توقعات المسار في سوريا سيكون تركيبة ناتجة عن التفاعلات الخارجية الدولية خصوصا الولايات المتحدة الأمريكية، وتوازناتها مع التفاعلات الإقليمية خصوصا تركيا، وكذا العربية منها، وتداخل ذلك مع

التفاعلات الداخلية السورية. كل هذه الخلطة الخارجية وتوازناتها وتفاعلاتها مع الخلطة الجيوسياسية المحلية ستحدد على الأغلب المسار السياسي وتركيبة الدولة السورية، وعلى توجهاتها الإقليمية خصوصا تجاه إسرائيل، وعلى مستقبلها وتموضعها في التركيبة الإقليمية.

لن يكون الأمر سهلا، ويحتاج إلى توافق سوري داخلي وصبر استراتيجي من جميع الأطراف السورية المعنية وخصوصا الشعب السوري من أجل تجاوز المرحلة الانتقالية التي هي أصعب مرحلة في مثل هذه التغيرات الجذرية. وعلى الحكماء والعقلاء في المجتمع السوري (وهم كُثر) عليهم أن يحيطوا هذه الفترة الانتقالية بالعناية، وحمايتها من مثيري الثورة المضادة، وتحصينها من التدخلات الخارجية، والتواصل المستمر مع الجميع من أجل انهاء أي خلاف بسرعة قبل أن يتفاقم، ورفض أي مسارات تؤدي إلى تقسيم سوريا، فوحدة أراضيها هي الأصل. لقد عانى الشعب السوري لعقود طويلة ويستحق الآن أن يبني دولة مميزة في العالم العربي لما يملكه من طاقات بشرية متنوعة وحب للعمل والابداع.